حب في زمن ال
Take away
هبة معوض

حب في زمن ال Take away / نصوص

هبة معوض

الطبعة الأولى ، ٢٠١٠



دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة : ١٠ش عبد الهادي الطحان ، المرج

موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

كريم آدم

رقم الإيداع : ٢٠١٠/١٥٦٠

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٦٢٩٧- ١٠٠- ٣

حب في زمن ال
Take away

نصوص

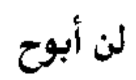
هبة معوض

الطبعة الأولى

٢٠١٠



دار اكتب للنشر والتوزيع


لن أبوح

كلؤلؤة نادرة أخشى أن يقترب أحد منها فيخدشها كـان قلبي. القلب الذي رفض الاستماع لكلمات غـزل وإطـراء أحاطه بها كثيرون.. قلب صار كالقلعـه المحـصنة الأبـواب والقلاع. المحتشد جنودها دوما للدفاع عنها -حتى المـوت- ضد أي محاولة حب. يذهلني اختراقك كل الحدود والقـلاع المحصنة والجنود لأجدك متربعًا ملكًا على عرش قلبي، بل وأدين لك بالولاء.. سعادة غامرة تجتاحني لاحتلالـك قلـبي، بـل لاحتلالك لكياني كله. أراك فيتحول ما حولـك إلى سـراب ودخان فلا ترى عيوني سواك، فيخفق قلبي سريعًا وتحمر وجنتي معلنًة خجلي.. قد أنهى محادثة بيننا أتمنى أن تستمر إلى الأبـد، أنهيها فقط لأهرب من النظر إلى عينيك، كـي لا تفـضحني عيوني وتبوح بما يسّره قلبي.. أهرب من الاسترسال في حديث قد تخونني فيه كلماتي فأعترف بحب يتملكني.

أخشى من السير على درب هواك فأتألم يومًا، فلكم رأينـا عشاقًا انتهى بهم درب العشق إلى الموت أو الجنون..جـل مـا أخشاه أن يظل حبك سرًا قابعًا مستكينًا داخل قلاع قلبي دون أن أبوح.. سرًا أخشى أن أشير إليه فأفقد أبدًا.. كلا لن يبوح لساني، لكن اغفر لي إن باحت عيناي بما يسر قلبي ولا يقـوى عليه لساني.. اغفر لي فالصب دومًا تفضحه عيناه





سلطان الحب



عندما نحب نذوب في الآخر متناسين أنفسنا.. تصبح لكلماته أحلى الألحان.. نطير فرحًا فقط لرؤياه.. ننسى أنفسنا ولا ننساه.. نحب ما يحب ونكره ما يكره.. نصبح عيونًا يرى بها وأيدي خلقت فقط لحمايته أو لتسخر له ما يحب.. نذوب فيه حتى نكاد نتلاشى ولا نرى في ذلك عيبًا.. و لم لا فنحن نحب، بل نذوب عشقًا.. نرى صورته في المرآة بينما نقف نحن أمامها.. نرى حياتنا قبله ظلام دامس ونحسب عمرنا فقط من يوم أن رأيناه.. نجد حياتنا معه ملأى بالألوان والأزاهير.. نشعر أننا لا نسير على الأرض، بل نطير.. نشعر بوجوده وإن لم يكن معنا.. يملأ حياتنا فيتجسد في كل ما نراه من أشخاص وأشياء.. نهواه حتى أننا لا نرى معنى لحياتنا دونه، ويتأكد لنا أننا كنا موتى أحياء قبل أن نراه.. يبتسم فنرى الوجود كله مبتسمًا.. يحزن فنرى الكون حزينًا.. إنه الحب.. وياله من سلطان، خرّ أمام سطوته الجبابرة والقساة. فلا يفرق بين سلطان و فقير.. رفقًا يا حب بقلبي المسكين.. فقلبي لم يزل يحبو فوق دروبك.. رفقًا بقلب صار مغردًا كأعذب الطيور.. قلبًا تجتاحه موجة حب لم يشعر بها قبلاً.. موجه تحمله عاليًا حتى يكاد يلمس النجوم، فيختار أحلاها ويفضي لها بسره الدفين، ثم يعود حاملاً إياها ليقدمها هدية إلى من يحب.. هدية تحفظ سره ولا تهمس به إلا لأذن المحبوب "إني أعشقك".

صندوق أسراري

في ركن خفي داخل صندوق أسراري قبعت تلك المشاعر بعيدًا عن الأضواء والعيون.. لكم كنت حريصة على إخفائها كحرص أم على أن لا يصيب ولدها مكروه .. ربما هو حفاظًا على صداقتنا وربما هو خجلي وخوفي على حبك.. أقف الآن مذهوله باكية .. ولكن هل ينفع الآن البكاء؟ أبكي صديقًا كالآخرين أم أبكي حبيبًا ترك الدنيا ورحل؟؟.. تنهمر دموع قلبي لتحرق وجنتي .. تتدفق ذكريات صداقتنا البريئة على ذهني .. لأعرفك شهمًا، كريمًا، عطوفًا .. وحبيبًا .. ذكريات جمعتني معك وكذلك الآخرين.. وكما اجتمعنا كثيرًا في السابق اجتمعنا اليوم أيضًا.. جاءك الجميع حتى من أبعدهم الدنيا وانطلقوا بعيدًا.. من منهم لا يكن لك احترامًا وتقديرًا .. يجتمعون اليوم ليودعون أخًا وصديقًا .. ولكني اليوم أقف ثكلى فقد فقدت حبا لن يتكرر في دنياي مرتين .. إنهم راحلون الآن لكني آثرت البقاء فلا يزال عندي لأعترف لك به .. فاليوم لن أخجل من ينطلق المارد الحبيس داخل الركن المتروي ليعلن لك أنني أحببتك حبًا حقيقيًا ربما لم تشعر به يومًا .. لكنه كان موجودًا، نابضًا بالحياة قابعًا هناك في ذلك الركن الخفي داخل صندوق أسراري.





الصياد



يجلس مرتقبًا في هدوء ناظرًا إلى الأعــالي حيــث تحلــق الحمائم.. يتحسس زناد بندقيته من آن إلى آخر منتظرًا هبــوط إحداهن على غصن قريب حتى يتمكن من الإجهاز عليهــا.. تزداد متعته في صيد الطائر الأصعب، الذي يظن أنــه الأكثــر قدرة على الطيران وعلى قيادة الآخرين. فالطائر الأصعب هــو الأمتع في الصيد كما يعرف المحترفون.. لم تعد ترتعش أصابعه على الزناد كما كان في الماضي بل أصبح لا يطرف له جفــن ولم يعد يرق قلبه لرؤية دماء فريسته واحتضارها.. صار الصيد متعته الوحيدة في الحياة. يكاد يربت بيد حانية علــى فريــسته بينما يتحسس بيده الأخرى زناد سلاحه ليجهز على ضــحيته بعد أن تطمئن وتستكين..

***

صديقتي حلقي بعيدًا فلا يزال أمامك فرصة للــهروب.. ألا ترين دماء الضحايا وأشلائهن.. اهــربي.. حلقــي بعيــدًا.. استمتعي بحياتك وبحريتك بعيدًا عن قفصة الذهبي المزعــوم.. فقفصه الذهبي ما هو إلا وهم كبير.. شراك خداع يجذب بــه الطيور.. فلا يغرنك مظهر خداع ولا تضعفين أمــام دمــوع تماسيح.. ارحلي فالشراك لم يزل قائمًا وهو لا يزيد عن صياد لأجمل الطيور.

صاحب الوجه المجهول



بصيص من الضوء يتسرب إلى عقلي لينبهه وباقي حواسي وليعلن أنني لا أزال على قيد الحياة .. الضباب ينقشع رويدًا رويدًا لأتبين وجوهًا كثيرة حولي .. رجالاً ونساءاً .. لا أتذكر أين أنا وكيف جئت إلى هنا .. انتبه إلى الرائحة المميزة للمكان.. نعم إنه مستشفى تذكرت أنه حادث أدى بي إلى هنا.. أستطيع الآن تبين وجوه من حولي وتمييزها جميعًا ولكن من أنت ؟؟ تبدو مألوفًا ولكني لا أتذكرك بالمرة .. الغريب أنهم أقروا أنك كنت حبيبي وأننا كنا نستعد لحفل الخطبة قريبًا ولكن كيف لا أتذكرك وقد كنت أحبك؟؟ أعجز عن التفسير وكذلك يعجز الأطباء هنا.. لقد تذكرت الجميع وتذكرت أدق تفاصيل حياتي إلا أنت ولازلت أعجز عن تفسير ذلك .. قد تبدو مألوفًا لكني لا أحمل لك أي ذكريات ولا مشاعر .. أجدك واقعًا في المنطقة الرمادية حيث اللا حب واللا كره .. هل أصابني مكروه جراء الحادث جلعني أتذكر الجميع إلا أنت؟؟ أم أنني أتناساك لسبب ما أجهله؟؟ هل كنت حبًا حقيقيًا أم كنت كابوسًا تمنيت أن أفيق منه؟؟ لا أتذكر ولا أريد أن اتذكر أي شيء خاص بك .. فربما كان الحادث بداية حقيقية لتخرج من حياتي إلي الأبد دون خسائر .. تريحني فكرة ابتعادك عن حياتي.. أخبرك بقراري هذا وأنني لن أستطيع الاستمرار فيختفي وجهك رويدًا رويدًا.. وبينما تذهب بعيدًا

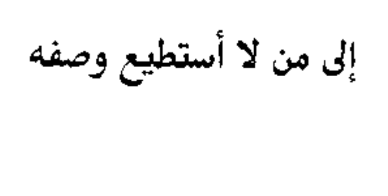
معلنًا تخلصي من حمل ثقيل لا أدري سببه .. بينما أنت تبتعـــد أتذكر كل تفاصيل حياتي معك وأحمد الله أنني اتخذت القـــرار الصائب الذي لن أندم عليه أبدًا

قلب من ذهب

عندما رأيتها لأول مرة في حفل أقامة أحد الاصدقاء كانت تشع حيوية، ابتسامتها المشرقة تبعث السعادة في نفوس الآخرين. تراها تتحرك بنشاط بين المدعويين مرحبة بصدق بهذا وذاك كأنها أم فرحة برؤية أبنائها مجتمعين حولها يوم الجمعة، فتبعث في نفوسنا دفء الوطن المغتربين عنه. يبدي لها الحاضرون التحية بحرارة مماثلة من الواضح أنها تحظي بشعبية وحضور بين الضيوف.. جلست أتأملها وهي تتحرك كفراشة سعيدة بين الحضور ولكن وسط كل هذا الحضور والسعادة كانت تلك النظرة الحزينة التي لم تستمر سوى لحظات استطاعت بعدها أن ترسم ابتسامتها المشرقة على وجهها من جديد لتحيي أحد الحضور.. لا أدري لم شعرت أن هذه المرأة الجميلة تدعي السعادة ولكن واقعها قد يكون علي غير ما تبدو في الحقيقة... لمحتني أحدق فيها فابتسمت واتجهت نحوي، يبدو أنها ظنتني خجلى ولم أستطع الاندماج مع الآخرين .. مدت يدها مصافحة ومرحبة بي "مساء الخير.. انا لبنى.. مديرة مبيعات" فأجبتها مبتسمة "اسمي سلمى .. أخصائية نفسية".. أخذت تجاذبني أطراف الحديث بمهارة شديدة حتى شعرت أنني أمام امرأة أعرفها منذ زمن وليس منذ أقل من ساعة وبنهاية الحفل كنا قد اتفقنا أن نلتقي ثانية في عطله نهاية الأسبوع .

تعددت لقاءتنا في العطلات الأسبوعية مما قوى صداقتنا وعمل على ملء الإحساس بعدم الاغتراب والبعد عن الوطن، ولكن على الرغم من ذلك لم أسألها أبدًا عن سر تلك النظرة

الحزينة التي ألمحهها في عينيها أحيانًا والـتي لا تـستمر سـوى لحظات لتذوب أمام سحر ابتسامتها الدافئة.. تجمعت شجاعتي وسألتها يومًا عن سر تلك النظرة، فأشارت إلي سلسه ترتديها في رقبتها.. سلسة بسيطة يتوسطها قلب ذهبي، فتحتها لأجـد صورتين لطفل ورجل "ابني عمرو وزوجي محمد" ثم استطردت "كم كان مؤلمًا أن افيق من غيبوبتي فلا أجدهما حولي.. أسـأل عنهما فلا مجيب لأسألتي.. تشيح عني الوجوه وتهرب العيـون من مواجهتي خوفًا من اكتشافي حقيقة وفاتهمـا .. اختفـت البهجة من حياتي فجأة ولم أعد أشعر بالزمـان ولا المكـان، وكذلك فقدت الرغبة في السير ثانية على درب الحياة .. ولكن هل يمكن لعاقل أن ينكر وجود القمر لمجرد أنه لايراه؟؟!! كان هذا هو السؤال الذي أعادني ثانية إلى الحياة وإلى العمل.. ابني وزوجي وإن رحلا لا يمكن لأحد أن ينكر وجودهما في حياتي وفي قلبي إلى الآن". ابتسمت ابتسامة حزينة متعاطفة بـصدق معها، فتلك المرأة وإن فقدت ابنًا واحدًا وزوجًا فقد استطاعت بقلبها الحنون وعطفها أن تكتسب ثقة وحب الكـثيرين مـن المصريين المغتربين هنا، الذين يجدون فيها قلـب أم حنـون.. يجدون فيها قلبًا من ذهب.


إلى من لا أستطيع وصفه

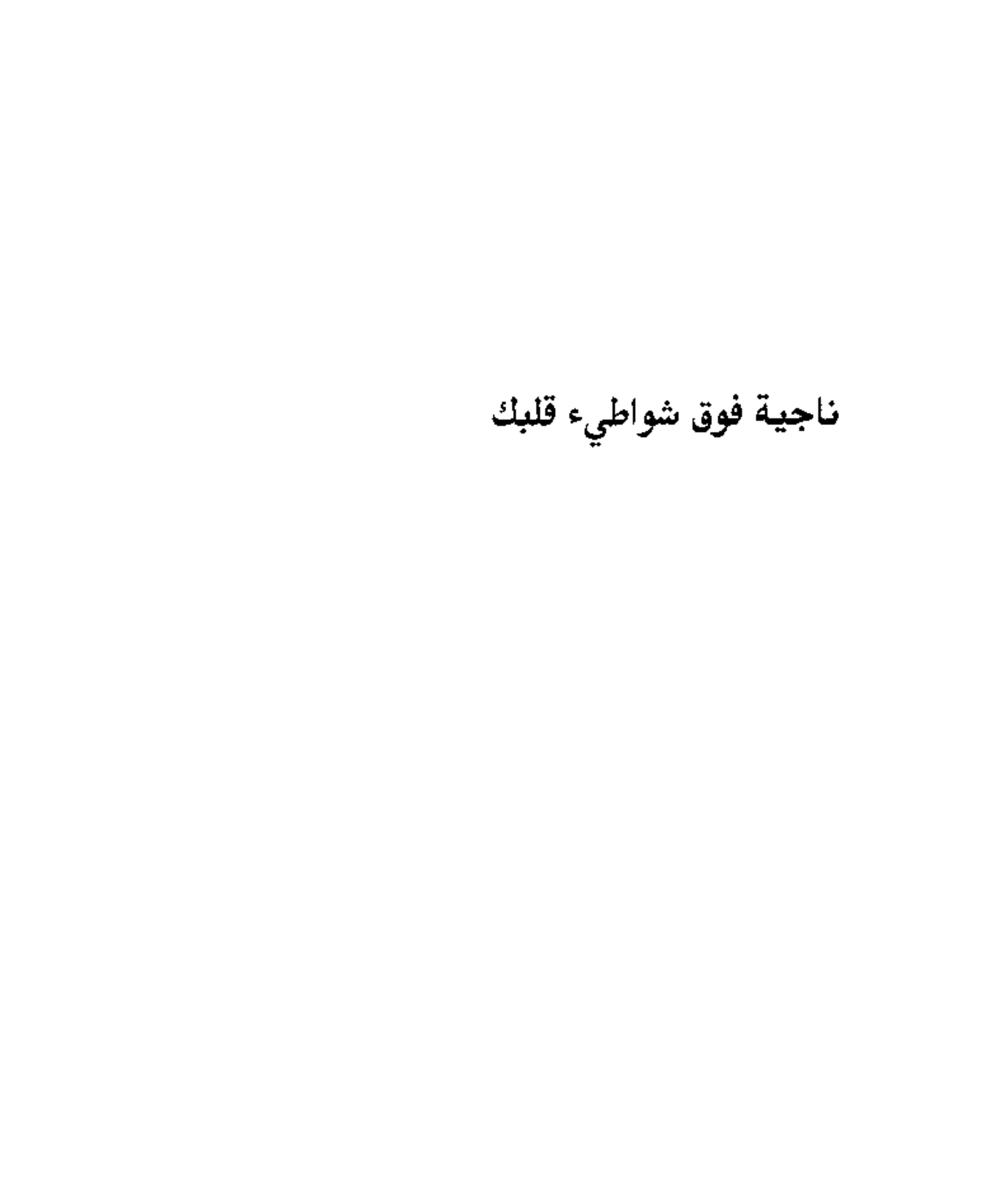


إلى من لا أستطيع وصفه بالكلمات.. إليك يا من كنــت يومًا حبيبي .. إلى من كان يملأ دنياي حبًا ومرحاً.. هل لك أن تخرج أبدًا من حياتي؟؟لم رحلت جسدًا تاركًا روحك تلاحقني أينما ذهبت، فأراك في كل مكان وتتجسد لي في كــل مــن أراه.. تسألني عنك الأشياء.. أكاد أسمع فنجان القهوة يلــومني لم تشربينها وحدك فقد كان هنا يملأ حياتك فرحًــا ودفءًا.. نعم كان هنا شمسًا تضيء ظلمة أيامي وترسل دفءًا يــدفعني لمواصلة الحياة.. ولكن من خان حبًا مثل حبي لا يــستحق أن يكون هنا بعد الآن .. فليذهب بعيدًا حيث العــدم.. حيــث تتلاشى الأشياء .. أتوسل إليك يا من كنت حبيبي لا أريد أن أراك عندما أمر أمام مكان جلسنا فيه ســويًا .. لا أريــد أن اتذكر كلمات حنونة القيتها على مسامعي عندما أسمع أغنيــة سمعناها وغنيناها سويًا.. لا أريد ان أتذكرك عندما أشم رائحة عطر كنت تتعطر به.. فوجودك يؤرقني بل سيدفعني حتمًا إلى الجنون.. فلازلت انتظر عودتك في الموعد مساءً .. لا زلــت أحدثهم عنك وعما كنت تحب وعما كنت تكره من أشياء.. آن الأوان أن ترحل روحًا كما رحلت جــسدًا إلى الأبــد .. فلتطرق باب خائن مثلك كي تستطيع معه الحياة.. لكن قلــبي وإن لم يزل قائمًا ينبض بحبك لكنه بالتأكيد لن يعود لمن هــو مثلك أبدًا..

تحياتي إلى من دمر حياتي



ناجية فوق شواطيء قلبك



تبحر سفينتي في بحر الحياة متخبطة تارة، وهادئــة تــارة.. يؤنسني آخرون لكن كل غارق في بحر من الهمــوم.. أشــعر بالوحدة أحيانًا رغم كل من يحيط بي.. قادتني الصدفة إلى لقاء قلب قلما يجود به الزمان. قلبًا يحمل براءة طفــل، وحنــان أم ورقة الزهور.. تراه رجلاً يعتمد عليه فتشعر معه بالأمان حــتى أنك لتسير معه مغمض العينين حتى نهاية العالم وأنت على يقين أنك ستكون بخير ولن يصيبك أدنى أذى .. التقــت ســفينتي وسفينتك صدفةً. فكانت الصدفة التي غيرت حياتي. كانــت اللمسة السحرية التي حولت قلبي إلى عصفور سعيد.. صــراع يومي.. كرّ وفرّ تلك هي حياتي التي تصير كأحلى الجنان عندما تحادثني فتحمل عني همومي.. أراك هدية السماء التي ساقتها لي الأقدار.. هديتي التي لن أتخلى عنها أبدًا.. الآن فقط وجــدت شراعي الذي سيقودني إلى شاطئ الأمان بعيدًا عن أمواج الحياة المتلاطمة. فيحملني بعيدًا حيث راحة البال.. حيث أستطيع أن أتنفس بحرية فأشعرأنني نجوت من ذلك البحر المتلاطم .. الآن فقط أشعر بالأمان .. و لم لا وأنا الناجية الوحيدة فوق شواطيء قلبك.





أشكال و ألوان

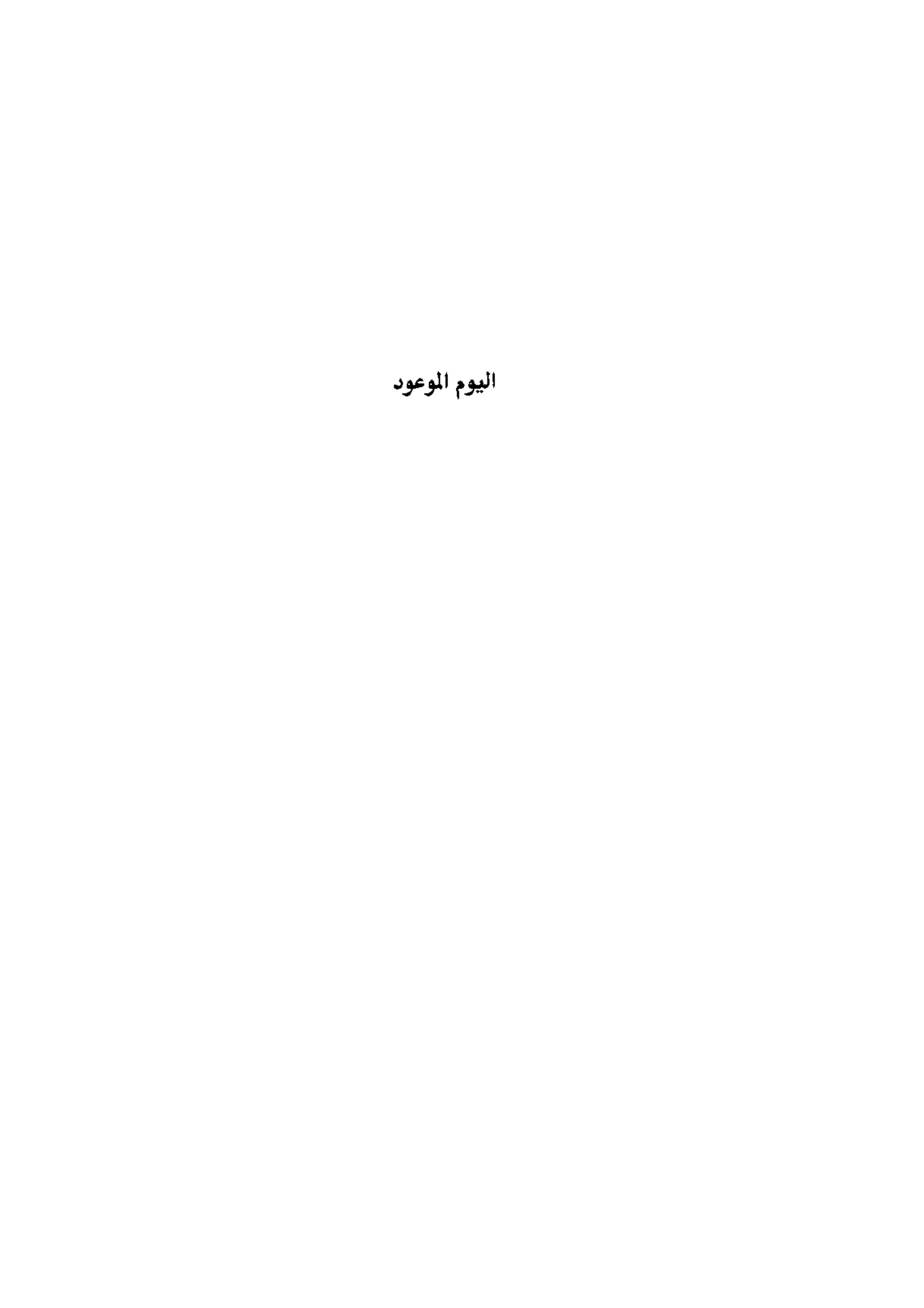


أمسكت بريشتي لأضع بعـض الخطـوط علـى لـوحتي الجديدة.. غالبًا لا أضع تخطيطًا مسبقًا لما سوف أرسمه، فأنا لا أزيد عن هاوية للرسم وأتخذه وسيله لإفراغ طـاقتي اللوحـة البيضاء تنتظر بشغف قطرات الألوان عليها.. أشكال هندسـية ورسومات سريالية خيالية، عيون ووجوه، ملامـح ضـاحكة ودموع تلك كانت لمسات ريشتي المعبرة عني فـوق قمـاش لوحتي الناصع البياض. لمسات سريعة ذات ألوان عدة..

انتهيت أخيرًا من تلك اللوحة. قد لا تبدو اللوحة للوهلـة الأولى مفهومة ففيها الكثير من التفاصيل المتداخلة الأشـكال والألوان.. لكنها بالفعل من وجهة نظري معبرة .. معبرة عـن حياتي معك.. ففيها الكثير من التفاصيل والوجـوه التواصـل والتنافر وكذلك الكثير من الألوان .. فيها العاطفـة الجياشـة والغيرة والاستقرار .. فيها العنف والهدوء .. فيها وفيها وفيها..

قد لا تكون تلك اللوحة معبرة في عيون الكثيرين .. كمـا قد تكون حياتي حياة عادية غير ملفتة للآخرين.ولكني علـى الرغم من ذلك أعتز بحياتي وذكرياتي معك .. تلـك الحيـاة المتداخلة الأشكال والألوان

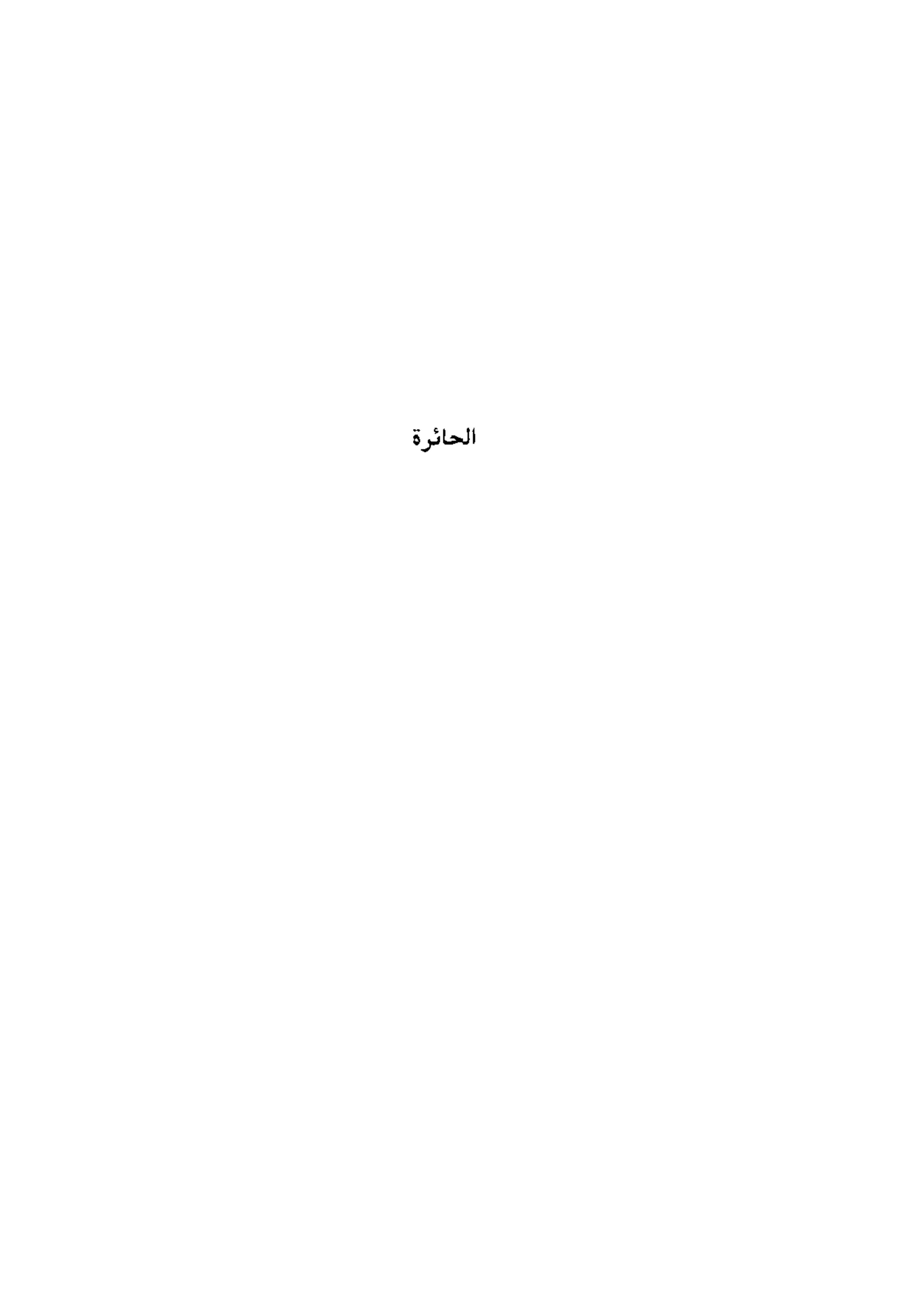




اليوم الموعود

أنظر إلى الساعة بين الحين والآخر وأتعجب من عدم مرور الوقت.. أتململ فوق السرير فالنوم يجافيني وأصبح الأرق صديقًا يؤنسني كل ليلة منذ أن دخلت عالمي.. أجدك رقيقة كفراشة يخاف أن يلمسها المرء فيصيبها بأذى.. بل وأظنك كالساحرة صاحبة العصا السحرية التي يمكنها أن تمحو عنك الهموم بلمسة حنونة منها. أشعر أنني أعرفك من أبد الدهر وليس منذ أيام.. أعرف ذلك الشعور الذي يجعل قلبي يختلج بين ضلوعي عندما أراكِ،ويجعلني اضطرب أحيانًا إذا تحدثت إلي وأنا الطليق اللسان.. أعرف ذلك الشعور جيدًا إنه الحب لا محالة .. ذلك الداء الذي حرصت على ألا يصيبني ثانية، ولكنه أصابني .. استطاع أن يعبر كل المحظورات التي وضعتها كي لا يتألم قلبي ثانية، فتخطى الحواجز وأصابني في مقتل.. ومنذ ذلك الحين وأنا أنظر إلى ساعتي تارة ألومها كي تبطئ ولا يمر الوقت وأنت معي، وتارة أحثها كي تسرع لأراكِ ثانية في اليوم التالي.. أفٍّ لتلك العقارب اللعينة كأنها تعاندني والوقت لا يمر.. أتذكر يوم دخلتِ المكتب تحملين علبه حلوى توزعين منها على الزملاء فيبتسمون ويهنئون قائلين "ألف مبروك"، انتفض قلبي فزعًا وأسرعت أبحث في يديك عن خاتم زواج يعلن خطبتك لكنني لم أجده، فازدادت حيرتي وتسارعت دقات قلبي مع قدومك نحوي.. تحشرج صوتي اضطرابًا وأنا

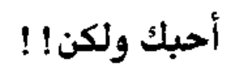
اسألك عن سبب تهنئة الزملاء.. شعرت أن اللحظة مـــا بـــين سكوتك وإجابتك قد مرت دهـــرًا.. لكنـــك -حمـــدًا لله- أوضحت أنكِ حصلتِ على درجة متقدمة في أحد الكورسات التي تدرسين بها.. شعرت وقتها أني أتنفس ثانية وأن الدماء قد عادت إلى وجهي، حتى أنه يخيل لي أنك قد لاحظت اضطرابي، فأسرعت بأخذ قطعه حلوى في محاولة لإخفـــاء مـــا ألَمّ بي.. ابتسمتِ ابتسامة حانية ثم انصرفتِ لتكملي جولتـــك علـــى الزملاء.. اتخذت قراري بحتمية مـــصارحتك بمكنـــون قلـــبي، ولكنها تلك العقارب اللعينة فالوقت لا يمر.. كأنهـــا تـــأبى أن تصيبني لحظة سعادة ينتظرها قلبي منذ زمن.. نعم، فأنتِ مـــن كنت أبحث عنها كي تشاركني مشوار حياتي.. لا زلت أجلس منتظرا أنظر الى عقارب الساعة أكاد أستحديها كـــي تـــسير عقاربها معلنة انقضاء تلك الليلة التي بدت كالدهر ولتعلن بداية اليوم الموعود.. اليوم الذي انتظر كي يعلن فيه قلبي كم يحبك



الحائرة

لأول مرة أقف حائرة بينكما، ففي السابق كنتمـــا كيـــان واحد.. و لم تختلفا هكذا أبدا .. حائرة بينكما .. بـــين قلـــب يرحب بدقات الحب على أبوابه وبين عقل يـــرفض أن يتـــألم لفراق عزيز مرة أخرى.. كلاكما لديه أسبابه الوجيهـــة الـــتي تقنعني للانسياق وراءه ولكني في الحقيقة أشعر بالعجز عن اتخاذ قرار مناسب .. قلبي مرحب بتلك الدقات الحنونة على أبوابـــه ويستعد لفتح أبواب حصونه أمام شخص يراه حنونًا وذكيًـــا ومقدرًا لكينونته وهنا أجدك يا عقلي تذكرني بـــآلام الماضـــي وتحذرني بألا أعود من جديد لأسير علـــى نفـــس درب الآلام تحت دعوى الحب .. فأجدني أتملص من وعدي لـــك وأســـير وراء اختيار العقل، فإذا بك تصرخ من جديد وتطالبني بالعودة إلى أحلامي الرومانسية وتعدني أنك أحسنت الاختيـــار هـــذه المرة.. فيتدخل عقلي ثم تتدخل يا قلبي وأنـــا لا أزل حـــائرة بينكما فصراعكما لا ينتهي ودائمًا متعادلان

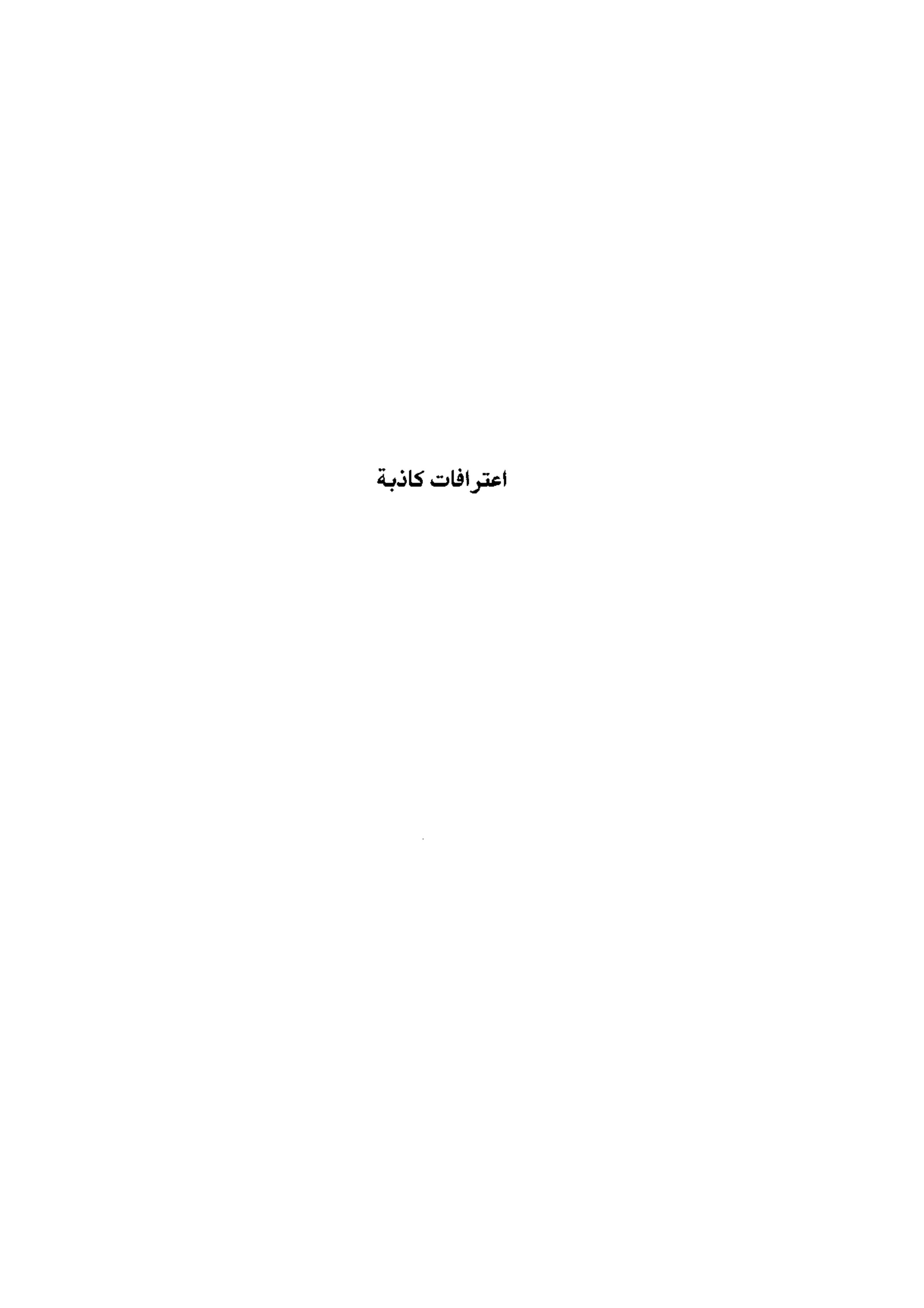
لا أنكر ضعفي أمامك يا قلبي وإزاء كلماتك أكاد أرفع راية الاستسلام للحب وللشعور بالأمان لوجود الآخـــر معـــك .. فذلك الوجود الحنون له لا أنكر بصماته الملحوظة على أوراق حياتي .. صوت صراخ تحذيري مرتفع يجعلني أتجه نحوه لأجـــد أنه عقلي يذكرني بعهد قد قطعته على نفسي من قبل .. عهـــد أتذكره جيدًا ولا أنكره أبدًا يا عقلي .. ولكن قلـــبي لم يـــزل يتشبث بي ويدفعني تجاهه .. حائرة بينكما .. هـــل ســـتظلان هكذا أبدًا؟ أم آن الأوان لأن يكون لهذا الصراع نهاية!!


أحبك ولكن!!

تتحرك بنشاط كفراشة رقيقة تشعر معها أنها تملأ المكـــان بلمساتها وضحكاتها الرقيقة... أجدها من أكثر الشخـــصيات إشراقًا، وهذا ليس فقط لأني أحبها بل لأن غيابها تشعر معـــه بالفعل أن الشمس قد غابت عن المكان، فصار أكثر إظلامًـــا وأقل حيوية.. أعلم أني أحبها، بل أنا متيم بها. على الرغم من عزوفي عن فكرة الزواج إلا أن كل اعتراضاتي وتحفظاتي ذابت كقطعة سكر أمام دفئها وإشراقها.. ألعن ذلك الشيب الـــذي ملأ السواد الأعظم من رأسي ليذكرني كلما وقفت أمام المرآة بعمري الذي جاوز الأربعين. فأبتلع كلمـــاتي المنمقـــة، الـــتي جاهدت كي أحفظها فلا أتلعثم عند إعلان حبي لها.. ألعن هذا الشيب الذي يذكرني أنني تقريبًا قد جاوزت مرحلة الـــشباب والانطلاق لأغدو عجوزًا يملأ الشيب رأســـه ولا يجـــوز لي أن اقترب من زهرة رقيقة شابة مثلها، وعليّ إذا نويت الزواج أن اذهب إلى أخرى خط الشيب رأسها مثلي.

قصة حبي الأولى كانت لزميلتي، التي تزوجـــت مـــن أول عريس جاهز بعد أن ألقت بحبنا ومشاعرنا من النافذة.. "أنـــا هاتجوز حسين ابن خالتي..أتمنى لك السعادة مع واحدة أحسن مني" هكذا أخبرتني بهدوء بقرارها الذي زلزلني.. أعلم أن حبنا كان يعاني بعض الأزمات المادية، لكني لم أتوقع أن تتخلى عني بهذه السهولة والسرعة مع دقات أول عريس جاهز. انهـــارت أحلامي ومعتقداتي الرومانسية واتخذت قراري بالعزوف عـــن فكرة الزواج.. القرار الذي أغضب أمي واستنكره أصـــدقائي.

لكن حياة العزوبية أفضل كثيرًا من زواج تقليدي من امـــرأة لا أحبها. أغلقت قلبي للأبد وغرقت في العمل حتى الثمالة.. نعتني البعض بـــ"عدو النساء" وآخرون قاموا بوصفي بـــ"المعقـــد". ولكني لم أبالي بكل هؤلاء وانغمست في عملـــي واقتـــصرت حياتي الاجتماعية على الزيارات الأسرية الهامة والتواصل مـــع بعض الأصدقاء.. صارت حياتي كالدائرة المفرغة، الـــتي أدور فيها إلى الأبد بلا توقف، فأرتقي المناصب وأحصد النجاحات العملية.. هذه كانت حياتي حتى أشرقت شمسها على دنيـــاي فملأت حياتي سرورًا وبهجة. فخفق قلبي من جديـــد بعـــد أن ظننت أنه لن يخفق ثانية من أجل الحب.. صار قلـــبي يخفـــق لرؤياها ويغار إذا حادثها أحدهم، بل ويكاد يصاب بالجنون إذا تغيبت يومًا عن العمل.. أعلم أن حبها سيظل أمنيـــة صـــعبة المنال. فلن يمكنني ملاحقة فراشة شابة منطلقة مثلها وأنا أحمـــل فوق ظهري سنوات عمري التي جاوزت الأربعين. وعلي الرغم من كلمات صديقي المقرب المشجعة أن أحدثها عارضًا عليهـــا الزواج إلا أنني أرى أن قصة حبي هي كطفل مات قبل أ يولد. فعيناها الجميلتان لن تراني سوي عجوز متـــصابي لا يـــستحق التقدير.. لذا خير لي أن أتحمل عذابات حبي وحدي بعيدًا عن نظرات إشفاق من عينيها.. الإشفاق علي عجـــوز متـــصابي يبحث عن فتاه صغيرة يتزوجها.. يكفيني أنها هنا تنير دنياي.. فهي كالشمس تضيء حياتي وتدفؤها، ولكن إذا اقتربت منها أكثر حتما سأحترق.



اعترافات كاذبة

جلست على أريكة بسيطة في انتظار وصول الحافلة. لا أحمل معي سوى حقيبة تضم ملابسي وبعض ذكرياتي. حملتهما معي على مضض، بعد أن قررت أن أذهب وأترك كل شيء ورائي ولكن هناك ما هو لا يمكنك التخلص منه أبدًا.. فتجد نفسك تحمله معك أينما ذهبت.. إنها ذكرياتك وما اقترفت يداك..

رأيتها تحمل وجها ملائكيًا وابتسامة ساحرة.. ظننتها كالأخريات التي امتلأت مذكرتي بأسمائهن وأرقام هواتفهن.. "نادر الدنجوان" هكذا كان يلقبني أصدقائي الذين يعرفونني حق المعرفة. كأن اللقب يسعدني خاصًة عندما اعتبرني بعض أصدقائي قدوة و"أستاذًا" في فن اصطياد الفتيات.. لا أنكر أنني صادفت فتيات فضليات وهنا كانت تظهر براعتي وحيلي المضمونة النتائج معهن.. رأيتها تحمل وجها ملائكيًا وابتسامة ساحرة.. تقربت منها مستخدمًا حيلي القديمة ولكنها كانت لي دومًا بالمرصاد.. فقد كانت على علم بلقبي وبصولاتي في عالم الحب المزيف.. كانت الوحيدة التي قالت لي "لا" حتى النهاية.. أعيتني الحيل في استمالتها وكان رفضها وصدها دومًا حنفائي، فهي لا تريد أن تعرف من هو مثلي "بيلعب ببنات الناس".. لأول مرة أعي ما معنى كلمة "حب" أو هكذا خيل لي.. ازداد تمسكي بقلب كان أكثر حنكة مما كنت أظن.. انكشف الوجه القبيح لحقيقتها بعد انهيار قلبي أمام حب ملأ جوانحه.. لأفيق

على حقيقتها المؤلمة بأنني لست بأول ضحاياها.. فهي تقتل بدم بارد وتذبح قلوب من أحبوها بصدق.. وجدتني أتجرع الكأس التي طالما أذقتها لآخرين، وبالمرارة ما تذوقت على يديها!!.. لم يبق أمامي سوى أن أرحل بعيدًا جدًا، حتى أبدأ من جديد بعد أن الملم شتات نفسي وأشلاء قلبي، الذي تحطم تحت وطأة الخيانة.

أحمل حقيبة ذكرياتي بخطوات واهنة حتى الحافلة. أجلس علي الكرسي الخاص بي دون اهتمام مغمضًا عيناي غير عابيء بما يحدث حولي.. بوق أخير أطلقه السائق معلنًا تحرك الحافلة لتبدأ رحلتي بعيدًا عن أرض الذكريات.. أفتح عيوني لأري فتاة جميلة استقلت الحافلة قبل إغلاق أبوابها بثوانٍ وتجاهد لوضع حقيبتها الصغيرة في الصندوق العلوي للحافلة.. أساعدها حتى تتمكن من الجلوس في مكانها قبل أن تتحرك الحافلة. تجلس علي الكرسي المجاور لي وتشكرني مبتسمة بأدب جمّ.. تنطلق الحافلة فوق الطريق بينما انطلق أنا في الثرثرة مع جارتي الجميلة ليدور بيننا حديث طويل.. حديث أجيده جيدًا.. حديث معسول أحمل فيه لقب "الدنجوان".


الانتحار حبًا



لمسات حنونة على جدار قلبي أنتبه إليها فأراد يعلن أنك قد سكنت قلبي وأنني لم أعد وحدي في الحياة.. صار العالم أكثر رحابة وأزهى ألوانًا داخل عينيّ.. أصبحت أكثر إقبالاً على الحياة.. يرفرف قلبي حين تحدثني وأذوب خجلاً أمام عينيك.. وكيف لي ألا أذوب حبًا أمام رجلاً مثلك.. رجل يحترمه الجميع رغم سنه الصغير.. رجل عطوف حنون، صاحب قلب يتسع للجميع.. أحببتك دون أن أدري كيف تمكن حبك من بلوغ قلبي؟.. دوما كنت آثر البعد عن طريق الحب.. فقد كان الحب في عيوني يحمل دومًا صورة الضعف والاحتياج للآخر. وما أقسى أن تشعر بالاحتياج لآخر تجد نفسك وحيدًا تلاطم أمواج الحياة.. آثرت دومًا الابتعاد عن عالم الحب وفضلت الاستقرار على شواطيء النجاة.. اكتفيت بدور المتفرج.. فأنصح أصدقائي ليتخطوا أزماتهم العاطفية بل وأصلح بينهم وبين أحبائهم كثيرًا.. ألعب دور المستشار العاطفي دون أن أترك شاطيء الأمان، دون أن أبحر قيد أنملة في بحر الحب.. إذا كان الحب ضعفًا واحتياجًا للآخر فلم أرضى بهذا الضعف والخنوع والاحتياج.. ألا يكفيني أنني أكثر راحة من أصدقائي العاشقين، فلا أسهر الليل أفكر في المحبوب ولا أتعذب بنار حب ولا غيرة.. بلا شك أنا أكثر سعادة من هؤلاء العاشقين المعذبين.. ياله من وهم كبير عايشته حتى صدقته ودافعت عنه

بإستماتة.. كذبت على قلبي فصدقني وانطلق معي بعيدًا معتقدًا أنه بذلك ينجو بنفسه ليبقي أكثر سعادة.. جاءت الرياح بما لم تشتهي سفني.. جاءت محملة بالحب.. شاءت الأقدار وجمعتنـــا ليصحو قلبي من غفلة طالت حتى سكن، وظننت أنه لن يستطع أن يدق كالعاشقين.. يبدو حبك انتحارًا لمبادئ قديمة اعتنقتها وانتصارًا لشعور يتملكني بقوه أكبر يومًا بعد يـــوم.. حبـــك انتصار لشعور أضاء أيامي.. حب أخرجني من ضعف حقيقي ظننته منتهى القوة.. إن كان حبك انتحارًا فما أجمل الانتحـــار على يديك.

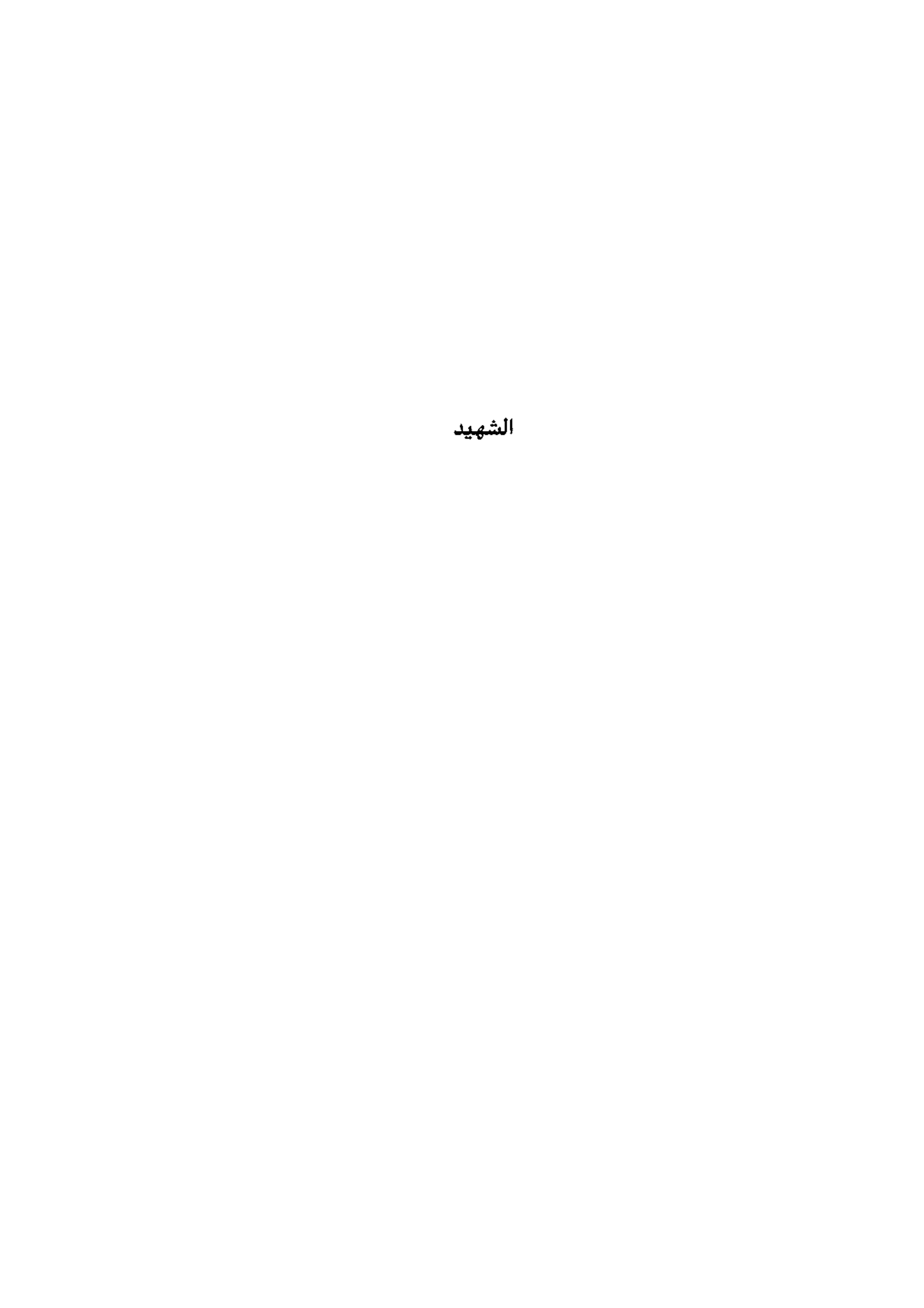
التنورة



يرقص باحتراف مرتديًا تلك التنورة الطويلة ذات الألوان.. يدور ويدور بلا توقف صانعًا دوائر لا منتهية العدد في الهواء.. تقف مشدوهًا أمام هذا الراقص المحترف الذي لا يشعر بالدوار صانعًا لوحات فنية متعددة الألوان فلا تملك إلا أن تصفق له مشجعًا.. تنورة طويلة ذات ألوان عدة.. تدور في الهواء بلا توقف.. تصنع دوائر متداخلة الألوان لا تعرف من أين تبدأ تلك الدوائر ولا أين تنتهي.. دوائر متداخلة بلا بداية ولا نهاية تشبه حبي لك.. ذلك الحب الذي لا أعرف كيف تسلل إلى قلبي فخر صريعًا أمام سطوته معلنًا إخلاصه وولاءه لك مدى الحياة.. حجج واهية أفتعلها يوميًا كي أراك أو أتحدث إليك قليلا.. أجاهد كي لا تفضحني عيناي عندما ألقي عليك تحية الصباح.. أسعد لحظاتي حيث أحتسي معك فنجان القهوة الصباحي فنتحدث كأصدقاء بعيدًا عن ضغوط العمل.. أرى فيك الرجل الذي طالما تمنيت قوي.. حنون.. واثق الخطى.. نحتسي القهوة كأصدقاء فتبوح لي بما يشغلك وألقي إليك بهمومي.. نتضاحك وترسل تحياتك إلى أمي التي لا تمل السؤال عنك

أدور بلا توقف تمامًا كالتنورة التي يحملها ذلك الراقص الشعبي المحترف.. أدور دون أن أعرف متى يمكنني أن أتوقف عن ذلك الدوران اللانهائي في فلكك دون أن تشعر بمن

يهواك..هل لهذا الدوران - المحبب إلى نفسي- من نهايـــة؟ أم تراني سأظل أدور وأدور حتى يتوقف الراقص عن أداء رقـــصته وتسقط تنورته على الأرض كخرقة قماش بالية.. حينها يعلـــن الراقص عن نهاية رقصته.. حين يتوقف نبض الحيـــاة داخـــل القلب، وقتها فقط يمكن أن أتوقف عن حبك ويمكن أن أكف عن الدوران.



الشهيد

صورة باهتة قديمة معلقة على الحائط تظهر فيها مرتديًا الزى العسكري.. نظرة حازمة وشبح ابتسامة يلوح على شفتيك.. ذكريات ضبابية لا أذكر تفاصيلها تتوارد إلى ذهني حين أنظر إلى صورتك.. ذكريات عن أب حنون كثيرًا ما كان يحملني على كتفيه. يغيب أحيانًا عن المترل ولكنه يعود محملاً بالحلوى والشيكولاتة التي أحبها.. اتشحت أمي يومًا بالسواد وكثيرًا ما كنت أراها تبكي، وعندما كنت أسألها عن سبب دموعها الغزيرة كانت تنظر إلي في عطف وتقول "عيني بتوجعني" فأرد ببراءة "لما بابا ييجي هاخليه يوديكي للدكتور" تضمني إلى صدرها وتجهش بالبكاء.. أفتقدك كثيرًا وأفتقد الحلوى التي كنت تعطيها لي مع قبله حانية علي وجنتي. سألت أمي يومًا عنك فقالت "بابا مسافر عند ربنا" أخبرتها أني أفتقدك وأنني أتمنى أن أذهب إليك فما كان منها إلا أن ضمتني إليها وهي تقول "بعد الشر عليكي" فصمت دون أن أعي ما هذا الشر الذي تتحدث أمي عنه فأنا أريد فقط أن أراك وألعب معك كما كنا في الماضي.

أدركت بعدها أن من "يسافر عند ربنا" لا يعود أبدا.. واستوعبت أنني لن أتمكن من رؤياك إلا في تلك الصور الباهتة.. كثيرا ما كنت أتحدث إليك وأستشيرك بل وألقي عليك تحية الصباح والمساء كأنك معي.. لا أنكر احتواء أمي

لي وكذلك دور جدي المتفاني في لعب دور الأب البديل خاصة عند زواجي.. لكني على الرغم من ذلك كله كنت أشعر أنه لا يزال هناك شيء ينقصني..أزورك اليوم كما تعودت ولكن لست وحدي كما في الماضي. فقد جئت برفقة زوجي الذي تشبه أخلاقه أخلاقك على حد قول أمي وبرفقة ولدي الذي يحمل اسمك.. لم أعد وحدي كما في الماضي بل أصبحت أسرتي الصغيرة هي كل حياتي.. أتذكرك كثيرًا كلما ناديت ابني أو نظرت إلى وجه زوجي الحنون.. فقد كنت دومًا الغائب الحاضر الذي ملأت أمي حياتي حديثًا عنه وعن بطولاته.. إنه أبي شهيد الواجب والأب الحنون.. أبي الذي سأفخر به على الدوام.. اللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب..



العش الصامت



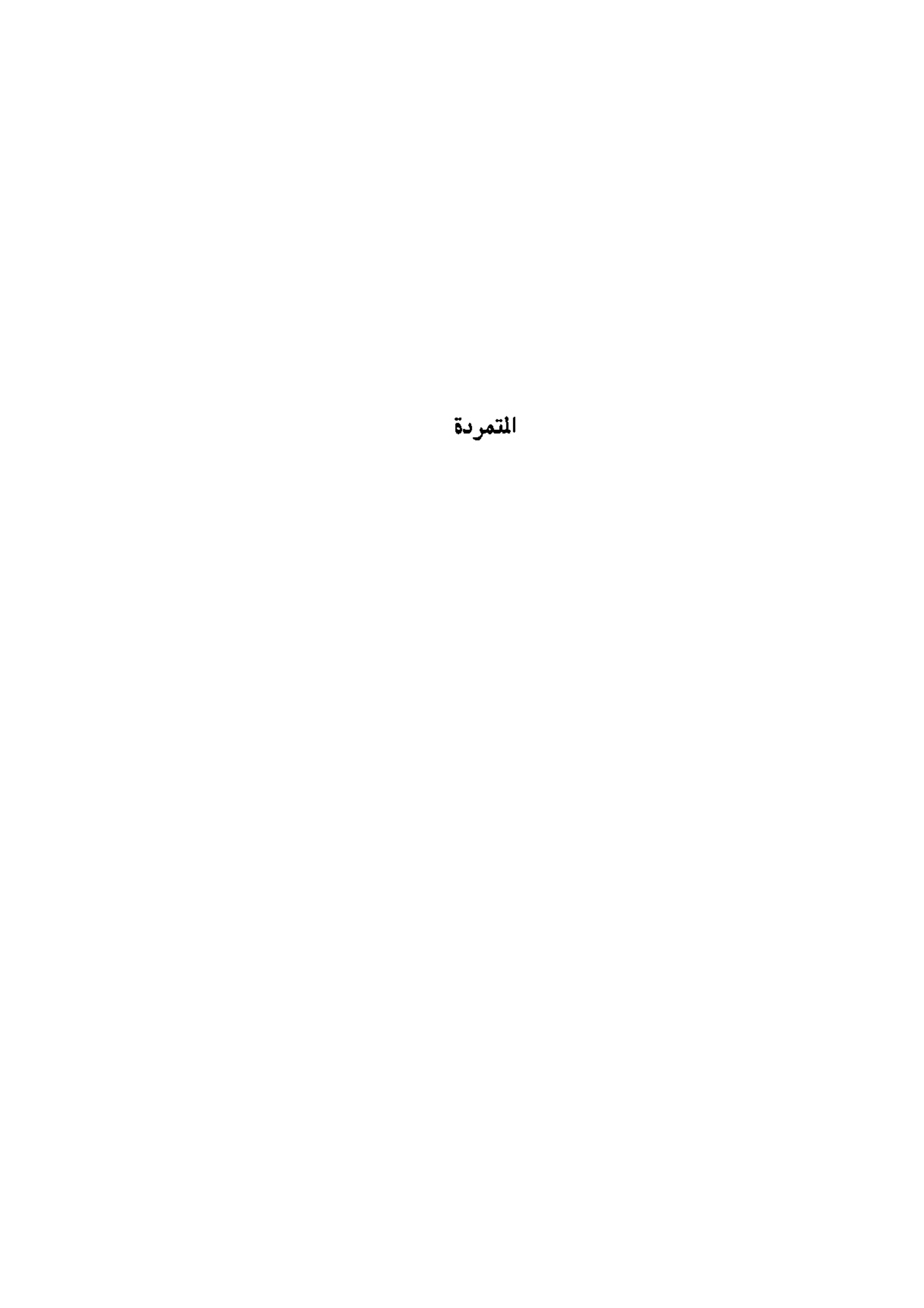
أدلف إلى عشي الهادئ فأجده مظلمًا على غير العادة.. صمت قاتل يغلف المكان.. تبحث يدي عن زر الإضاءة لأكسر حاجز الظلام الذي منعني من اكتشاف سبب هذا الصمت الذي يحيط بالمترل .. تتبدد الظلمة ولكن يبقى الصمت مطبقًا على المكان. أبحث عن زوجتي داخل المترل فلا أجدها.. أتذكر أنها ستقضي ليلتها هذه مع والدتها لتمرضها.. هذا إذن سبب وجوم الصمت فلا صوت يسمع من هنا ولا من هناك.. حسنًا يمكنني أخيرًا أن أستمتع قليلاً بالهدوء .. أن أتمدد حتى وقت متأخر أمام التلفاز وأن أتناول ما يحلو لي من طعام دون أن يذكرني أحدهم من حين إلى آخر أن أتناول السلطة وأن أنهي ما في طبقي من طعام كأنني طفل صغير.. شعور غريب بحرية الحركة أشعر به اليوم.. أدرت التلفاز على قناتي الرياضية المفضلة رافعًا صوته على غير العادة .. توجهت إلى المطبخ لأعد طعام العشاء وأجلس لأتناوله في هدوء أمام التلفاز، الذي أنتقل بين قنواته في حرية دون أن أضطر لمشاهدة فيلم قديم، أشاهده على مضض للمرة المليون فقط لأن المدام شاهدته معي أيام الخطوبة.. يمكنني متابعة برنامجي الرياضي المفضل دون أن تقاطعني زوجتي معترضة أو تنهال علي برواية ما حدث لها اليوم في العمل أو مع بائع الخضار.

أنتقل بين القنوات في ملل فقد انتهى برنامجي المفضل المستثير دوما للجدل مع زوجتي. تتبدد حالة السعادة والحرية رويدًا رويدًا ليحل محلها الشعور بالملل والوحدة.. أغلق التلفاز ليسود الصمت على المكان من جديد.. التفت يمينًا ويسارًا متأملاً منزلي الصامت.. يا لوحشة المكان دونها.. نعم روحها تبعث الدفء في المكان فلم أشعر بالوحشه أبدًا كما أنا الآن.. فهي دومًا تمازحني وتهتم بشؤوني كأنني طفلها الصغير المدلل.. أضحك حين أتذكر شجارنا حول برنامجي الرياضي الذي تراه مملا بينما أجده أنا أكثر متعة من مشاهدة فيلم تفضل هي أن تراه.. التفت حولي فأجد المنزل معتمًا رغم كل أضوائه المضاءة.. أراه معتمًا دونها.. فهي حبيبتي وزوجتي.. إنها النور الذي ينير أيامي.. أفتقد ثرثرتها حول ما حدث خلال اليوم ونحن نحتسي الشاي سويًا.. لكم أتمنى كوبًا منه من صنع يديها الآن!!.

الصمت يغلف المكان ولا شيء يكسره سوي صوت التلفاز الذي أدرته من جديد.. أرفع سماعة الهاتف لأدير رقمًا أحفظه جيدًا.. يجيبني صوتها الدافيء من بعيد.. أطمئن على صحة والدتها وأقول لها "وحشتيني.. البيت وحش من غيرك".. أتحدث إليها قرابة الساعة، لأحكي لها ما فعلته اليوم في العمل والمنزل.. تستمع إلي بلا ملل، تجاذبني أطراف الحديث وتمازحني

كعادها عندما نتحدث عن برنامجي الرياضي.. كذلك تعـــدني
أنها ستعود غدًا إلى المترل.. أنهي مكالمتي معها لأغرق ثانيـــة في
صمت يخيم على المترل.. صمت احتواه واحتواني!!



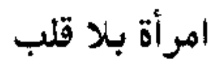


المتمردة



هل يمكن أن يكون الحب يومًا سبب نقمة علي صاحبه؟.. سؤال للك أتخيل يومًا أن تكون إجابته هي "نعم".. فأنا فتـــاد رومانسية حالمة – أو هكذا ظننت نفسي– أتمنى أن أجد مـــن يخطف قلبي ويشاركني مشوار حياتي. وعندما وجدتـــه كـــان الحب هو مأساتي.. لم تكن مأساتي أن من أحبـــه لا يبـــادلني مشاعر الحب أو يؤرقني وجود مشكله مادية أو أسرية بيننـــا.. بل تكمن المأساة أنه يحبني بجنون.. نعم تكمن مأساتي أنه يحبني بجنون.. يحبني لدرجة تكاد تخنق حبه داخل قلـــبي. ينعتـــونني بالمتمردة لأني لا أعرف قيمه ما بين يدي من حـــب عظـــيم.. فحبيبي شاب وسيم، مثقف وهو كما يقولـــون "تتمنـــاه أي بنت".. لا أنكر أنني أيضًا أبادله مشاعر الحب ولكـــن لـــيس بنفس قوة المشاعر التي يكبلني بها حتى أكاد أن أختنق حبًـــا.. حاولت مرارًا أن أنبهه أن علاقة الحب أخذ وعطاء، حتى يمكن أن تتجدد الحياة ومشاعر بين قلبينا.. فما كان منه إلا أن لـــثم يدي بقبلة حانية مؤكدًا أن يعطي من جانبه لأنه يريد أن يعـــبر عن ما يكنه قلبه لي، وهذا العطاء ما هو إلا حقي لأنه يعلم أنني أيضًا أحبه، أما هو فيكفيه فقط أنني هنا بجانبه.. نعم أنا أحبـــه ولا أستطيع الابتعاد عنه وكذلك فإن نار حبه تكاد أن تحـــرقني وتخنق الحب في قلبي.. أشعر أحيانًا أن خاتم خطبتنـــا كطـــوق ناري يحيط بإصبعي.. أخلعه واضعة إياه جانبًا فأشعر أني أكثر

خفة ورشاقة بل وأنني أتنفس بحرية أكبر.. ولكن سرعان ما أنظر إلى إصبعي دونه فأرى حياتي فارغة وأجدها أكثر بؤسًا دون وجود حبيبي بها قمرًا يضيء لياليها، فأسارع بارتداء خاتمي من جديد معلنة أن ما أشعر به إلا لغوًا و"دلع بنات" فخطيبي يحبني وأنا أحبه.. إذن لا يوجد مشكلة.. تتبخر حالة الرضا النفسي بعد فترة فأشعر بالملل من جديد من جراء حبه الفياض، الذي أكاد أن أغرق بين أمواجه فأسارع بخلع خاتم الخطبة من جديد.. أبحث عن نقطة مضيئة تخرجني من تلك الدائرة التي أسير فيها إلى مالا نهاية.. ولكنهم لا يزالون ينعتونني بالمتمردة ولا أدري لم يخلعون عليّ لقب كهذا؟! ألا يعقلون أنه لا سلطان لنا على دولة القلوب؟



امرأة بلا قلب



حين يكون حبك سببًا لتعاستي وشقائي يسعدني حبيبي أن أكون امرأة بلا قلب.. يسعدني انتزاع هذا الحب من قلبي وإن انتزعت روحي معه.. يسعدني أن أتحمل الآم فرقك وأغدو وحيدة.. فبدلاً من أن يصير حبك طوق نجاتي في بحر الحياة كان طوقًا من النيران يحرقني كلما اقتربت من دنياك.. حبي لك حقيقة لا أنكرها فقد كنت شمسًا أضاءت دنياي وأذابت الجليد عن أيامي.. أتذكرك رجلاً ذكيًا طموحًا أحبني واحتواني.. أتذكرك شهمًا عطوفًا محبا بلا تملك صاحب شخصية قوية وعقل راجح مستنير.. حبك ملأ عقلي وقلبي وامتلك عليّ جوارحي.. لكني لم أزل أراها هنا معنا.. إنه ذلك الحب القديم.. أراه دومًا يطل من عينيك حين تنظر إلي.. أشعر بأنها تجلس معنا وتستمع إلى أحاديثنا.. كذبت قلبي كثيرًا وأقنعته أنها مجرد غيرة خرقاء غير مبررة.. "فما هو إلا حب قديم مات وانتهى، أما حبك لي فهو حاضرك ومستقبلك" أليست هذه هي كلماتك التي ساعدتني على وأد شعوري بالغيرة من تلك الغائبة الحاضرة.. فاقتنع قلبي أنني حبك الوحيد وما هي إلا ذكرى زائلة.. ظللت أغوص أكثر في بحر حبك متناسية ذلك الشعور المرير الذي يحدثني به قلبي أحيانًا لأفيق يومًا على صوتك تناديني باسمها.. فأصمت وتموت الكلمات على شفتيك بعد أن باح لسانك –بغير قصد- بمكنون قلبك ليؤكد حقيقة

شعوري الذي كذبته يومًا.. كذبتـــه وصـــدقت كلماتـــك..
كذبته لأني صدقًا أحببتك.. كنت وحيدًا في قلبي متربعًا علـــى
عرشه ملكًا، بينما كان حبي وسيلتك لسلواها.. عفوًا حبـــيبي
حتمًا سأبتعد عن دنياك. فانا لست أميرة قلبك كمـــا تـــدعي
فهناك أخري لم تزل هنا تجلس متربعة على عرش قلبك.. عذرًا
حبيبي يبدو أن حبي لك سيغدو حلمًا مستحيلاً بعيد المنـــال..
سأبتعد أبدًا فقلبك لم يكن ملكي وكذلك يومًا لن يكـــون..
أحبك صدقًا، لكن قلبي يأبى أن يكون سلوى لذكرى حـــب
زائل وأرفض أن يكون حبي هو صدى الأمنيات.

حب وأقدار



أعرف ذلك الشعور المتنامي داخل قلبي..أعرفه جيدًا.. وبقدر سعادتي به إلا أن استغراقي فيه يؤرقني.. أشعر أني أغوص فيه يومًا بعد يوم رغم أني أقاومه بكل ما أوتيت من قوه.. أقاومه كي لا أجرحك أو أجرح قلبي يومًا.. كثيرًا ما تحدثت إلى نفسي كالبلهاء، بل وأجدني أصفع وجهي أحيانًا كي أعود إلى شاطئ الأمان، حيث الهدوء فلا نار حب وغيره ولا هجر ولا نسيان.. أقطع عهدًا على قلبي أن لا يبحث عنك ولا يهتم لأمرك.. لكن هيهات أن يكون قلبي على عهده معي.. فإذا به ينكث بوعده وتذهب كلماتي معه أدراج الرياح.. فيبحث عن وجهك وسط الجموع ويمتلىء فرحًا لرؤياك، ولا يمل الحديث معك أو عنك.. يبحث قلبي عما يرضيك وما يجعلك به فخورًا فيفعله عن طيب خاطر.. لا أدري كيف تسلل إليّ هذا الشعور؟.. إنه القدر الذي تمكن في غفلة مني أن يزرع بذور حبك في قلبي فراحت تنمو وتكبر وتمد جذورها يومًا بعد يوم..

أخشى يومًا أبحث فيه عنك فلا أجدك هنا بجانبي كعادتك.. أناديك فتنظر إليّ بلا اكتراث وتذهب بعيدًا.. إلى هناك.. تذهب إليها دون أن تنظر إلى الوراء.. ألم تكن هي حبك الأول الذي ربما تكن له الحنين؟!.. ألا تتجاسر هي على اقتحام حياتك من جديد فتحدثك وتمزح معك كأن شيئًا لم يكن..

"إننا مجرد أصدقاء" هكذا يكون جوابك دومًا حين أسألك عنها.. أشعر بالغيرة تملأ جنبات قلبي مؤكدة أنك بالنسبة لي أكثر من مجرد صديق.. ألعن هذا الشعور الذي يملأني غيظًا حين تحدثها أو تنظر إليها ولو من بعيد.. فأتمنى أن أنتزع قلبي وأرميه خارج صدري كي يتوقف عن الغيرة وكي يتوقف عن حبك.. الاحتراق بنار الغيرة أو انتزاعك من قلبي خيارين كلاهما مرّ.. صراع يومي ينشب بينهما فيسقط قلبي مثخنا بالجراح.. فهو الضحية الوحيدة لصراع أشعر أنه لن ينتهي أبدًا..

أن أعترف لك بمكنون قلبي أو حتى أشير إليه أمر أراه مستحيلا.. بل وأشعر بدماء الخجل تندفع إلى وجهي بمجرد التفكير فيه.. لكم أتمنى أن تبصر عيناك يومًا نظرات الحب والاهتمام حين أتحدث إليك.. أن تدرك من يهتم لأمرك حقًا ومن تظلم دنياه حين تكون حزينًا.. تبصر من صارت أحلامك هي أحلامه ودنياك هي دنياه.. إذا أبصرت حبي يومًا وكان قلبي هو خيارك فذلك هو أقصى الأماني ولن أتمنى أكثر ما حييت.. أما إن كان قلبها هو خيارك فيكفيني أن تعيش سعيدًا وسأظل دومًا هنا الصديقة المخلصة التي أحبتك في صمت.. الحب معجزة القدر.. فإن كان حبك هو قدري فما أسعدني بأقداري



ذكريات مستقبلية

انطلقت الموسيقى الرومانسية لتملأ جنبات قاعة الاحتفالات وتعلقت عيون الحاضرين بالعروسين وهما يرقصان على أنغام الموسيقى رقصة رومانسية. جلست في ركن بعيد عن الزحام، يسمح لي بمراقبة مدخل القاعة فأنا أتوقع وصول أحدهم.. خفق قلبي عندما رأيته يدخل قاعة الاحتفال.. كان وسيمًا كعادته، واثق الخطى، باحثًا عن معارف أو أصدقاء وسط الحاضرين. أشرق وجهه بابتسامة -طالما افتقدتها- عندما وجد جماعة من الأصدقاء. توجه نحوهم مصافحًا ثم توجه لتحيه وتهنئة العروسين.. حديث ضاحك يدور بينه وبين عدد من الاصدقاء، أكاد أجزم أنه يدور حول ذكريات أيام الدراسة بالجامعة بعد أن القت الأيام كلٌ في طريق، وكان حفل زفاف "أحمد" الزميل القديم فرصة ذهبية ليلتقي بالجميع ثانيًة.

استجمعت شجاعتي لأتوجه نحوه وأحييه.. أشعر بدقات قلبي تتسارع كما في الماضي. مددت يدي مصافحة وأنا أقول "مساء الخير.. إزيك يا صلاح؟".. انتبه لكلماتي فصافحني ورحب بي بشدة.. حديث ودود قصير دار بيننا عن صحتي وأحوالي.. لازلت أشعر بنفس خجلي القديم كلما نظرت نحوه أو تحدثت إليه. أنقذني وصول عدد من الأصدقاء فتحول الأمر إلي حديث جماعي قتل خجلي. انطلقنا نثرثر ونضحك مع الأصدقاء، بينما ذهب البعض ليرقص على أنغام الموسيقى أو ليلتقط الصور مع العروسين. جلست بعيدًا أراقبه في خجل مرة أخرى.. جلست أسترجع أيام دراستنا بالجامعة ومشاعر حملها

قلبي له دون أن يدري هو عنها شيئًا.. أتذكر خجلي وارتباكي إذا حدثني.. أتذكر حب لم يولد إلا في قلبي وظل رغم مرور السنوات قابعًا –دون أن أنتبه له– في ركن مميز داخل هذا القلب. انتبهت فجأة لوجوده أمامي يستأذن في الجلوس على طاولتي، فرحبت به وسمحت له بالجلوس. "اتغيرتي يا سارة عن أيام الجامعة .. بس لسه زي ما انتي خجولة وغاوية تقعدي لوحدك" هكذا كان تعليقه.. فابتسمت وسألته عن معنى التغيير الذي يقصده هل كان للأفضل أم للأسوأ؟! فلمعت عيناه وهو يقول "للأفضل طبعًا".. أخذنا نتجاذب أطراف الحديث عن أحوال العمل وذكريات الدراسة وعن حياتنا وأسرنا.. تحدثنا طويلاً وضحكنا كثيرًا حتى أننا لم ننتبه إلى انتهاء الحفل وانصراف حشد كبير من المدعوين.. تنبهنا على صوت صديقنا رامي وهو يقول ساخرا " قاعدين مستنيين إيه؟؟ الفرح خلص.. ولا انتوا مستنيين الفرح اللي بعده!!" .. انتبهت لمرور الوقت واستأذنت في الانصراف.. صافحت الجميع وكذلك العروسين متمنيًة لهما حياة سعيدة، ثم توجهت إلى سيارتي لأعود إلى منزلي.

كان هناك يقف بجانب جموع السيارت، يحمل وجهه نفس الابتسامة التي طالما أذابتني حبًا وخجلاً.. صافحني قائلا "أنا سعيد جدًا اني شفتك تاني بعد كل السنين دي". صافحته مؤكدة أني على نفس القدر من السعادة للقاءه اليوم وتمنيت له التوفيق في العمل والحياة. ودعته ثم استقليت سيارتي. أتجه

يراقب ابتعادي وفي عينيه أكثر من حنين لـــذكريات قتلتـــها السنين.. لازلت أشعر بدقات قلبي المتسارعة وأرى عينيـــي في مرآة السيارة تلمعان فرحًا لرؤياه ثانيًة.. هل لازال ذلك الحب القديم نابضًا بالحياة بعد كل هذه السنين؟؟ هل يمكن أن يولـــد الآن بعد كل هذا الوقت؟ هل هو حب أم حـــنين لـــذكريات قديمة؟؟ هل .. هل .. أسئلة كثيرة تدور بخلدي. أسئلة هزمها شعور قوي بالسعادة.. شعور يؤكد أنـــي لازلـــت أحـــب صلاح.. ولكني ودعته وتمنيت له التوفيق.. ودعتـــه ولا أدري هل يمكن أن يجمعنا القدر ثانية أم أن حديثنا اليوم هـــو مجـــرد حديث الذكريات.

شيء اسمه الحب



دعني أعترف لك أنني أحب.. بل أنا عاشقة.. وأنت أيـضًا كذلك حتى لو أدعيت الإنكار. فهناك شيء اسمه الحب يملأ حياتنا ويغلف جميع علاقاتنا.. يسيطر علينا دون أن نـدري.. يلمس قلبك بعصاه السحرية فيخفق بشده لرؤية مـن تحـب، وتتمنى أن تجعله سعيدًا على الدوام.. يجعلك تقفز من نومـك فزعًا لتذهب لرؤية والدتك المريضة في منتصف الليل.. يجعلك تمسك بسماعة الهاتف لتدير رقم صديق عزيز وتبدأ حـديثك معه بجمله "أنا عارف إن الوقت مش مناسب بس أنـا كنـت عايز أطمن عليك".. كذلك يجعلك تتحمل ذلك الجار اللعـين الذي يصر دومًا أن يحشر نفسه في شؤونك.

الحب هو ذلك المكون السري، الذي يمكن أن تحول لمساته حياتك إلى نعيم أو إلى جحيم.. هو ذلك المكون الذي نعرفـه جميعًا ولكن لا ندرك قدراته جيدًا.. الحب معجزة القدر.. إنه المعجزة التي ينكر كثيرون قدراهما في زمن كثر في الإحـساس بسيطرة الترعة المادية. فحب المال أو الجاه هو الـدافع الـذي يحرك عاشقي الماديات، وبالتالي فإن الموضوع برضوا دخل فيه حب.. حتى علاقتك بالذين تكرههم أيضًا يغلفها الحب.. فهو ناقص شوية..أعترف أني أحب ديني، بلدي، أهلي، حبـيبي.. حتى عملي الذي أكرهه بعض الأشياء فيه أيضًا أحبها.. حـتى أعدائي أو بالأحرى هؤلاء الذين لا أجيد التعامل معهم أيـضًا أحبهم وأقدرهم ولكن بشكل قليل شوية.. إنها حياة يغلفهـا

الحب.. يتغلغل فينا ونتغلغل فيه سواء شئنا أم أبينـــا.. الحـــب معجزة تغلفنا جميعًا.. إنه حقًا معجزة القدر.. فهل لازلت تنكر أنك ما أنت بعاشق؟!

الشهيد

صورة باهتة قديمة معلقة على الحائط تظهر فيها مرتديًا الزى العسكري.. نظرة حازمة وشبح ابتسامة يلوح على شفتيك.. ذكريات ضبابية لا أذكر تفاصيلها تتوارد إلى ذهني حين أنظر إلى صورتك.. ذكريات عن أب حنون كثيرًا ما كان يحملني على كتفيه. يغيب أحيانًا عن المترل ولكنه يعود محملاً بالحلوى والشيكولاتة التي أحبها.. اتشحت أمي يومًا بالسواد وكثيرًا ما كنت أراها تبكي، وعندما كنت أسألها عن سبب دموعها الغزيرة كانت تنظر إلي في عطف وتقول "عيني بتوجعني" فأرد ببراءة "لما بابا ييجي هاخليه يوديكي للدكتور" تضمني إلى صدرها وتجهش بالبكاء.. أفتقدك كثيرًا وأفتقد الحلوى التي كنت تعطيها لي مع قبله حانية علي وجنتي. سألت أمي يومًا عنك فقالت "بابا مسافر عند ربنا" أخبرتها أني أفتقدك وأنني أتمني أن أذهب إليك فما كان منها إلا أن ضمتني إليها وهي تقول "بعد الشر عليكي" فصمت دون أن أعي ما هذا الشر الذي تتحدث أمي عنه فأنا أريد فقط أن أراك وألعب معك كما كنا في الماضي.

أدركت بعدها أن من "يسافر عند ربنا" لا يعود أبدا.. واستوعبت أنني لن أتمكن من رؤياك إلا في تلك الصور الباهتة.. كثيرا ما كنت أتحدث إليك وأستشيرك بل وألقي عليك تحية الصباح والمساء كأنك معي.. لا أنكر احتواء أمي

لي وكذلك دور جدي المتفاني في لعب دور الأب البديل خاصة عند زواجي.. لكني على الرغم من ذلك كله كنت أشعر أنه لا يزال هناك شيء ينقصني..أزورك اليوم كما تعـودت ولكـن لست وحدي كما في الماضي. فقد جئت برفقة زوجي الـذي تشبه أخلاقه أخلاقك على حد قول أمي وبرفقة ولدي الـذي يحمل اسمك.. لم أعد وحدي كما في الماضي بـل أصـبحت أسرتي الصغيرة هي كل حياتي.. أتذكرك كثيرًا كلما ناديـت ابني أو نظرت إلى وجه زوجي الحنون.. فقـد كنـت دومًـا الغائب الحاضر الذي ملأت أمي حياتي حـديثًا عنـه وعـن بطولاته.. إنه أبي شهيد الواجب والأب الحنـون.. أبي الـذي سأفخر به على الدوام.. اللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب..



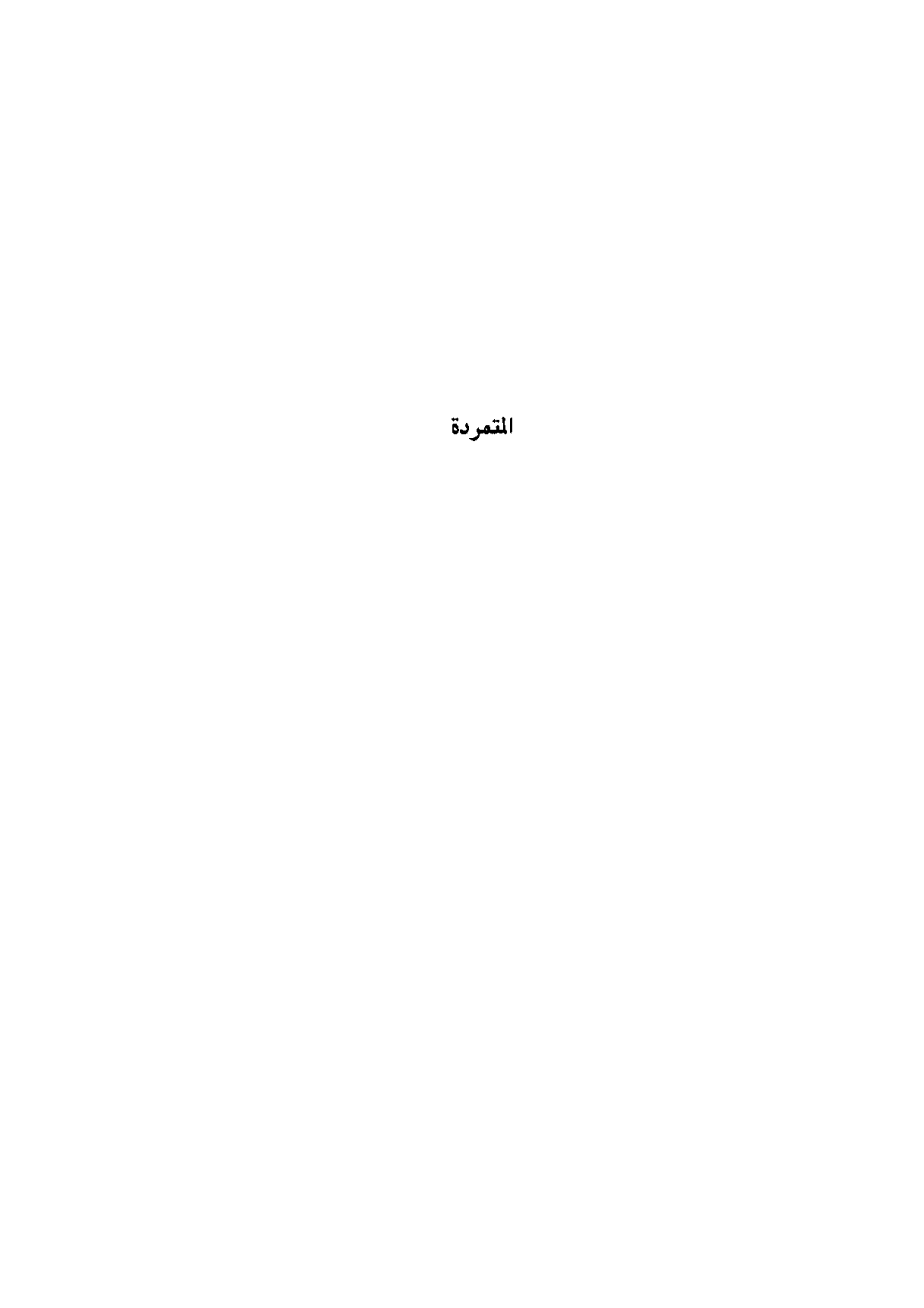
العش الصامت

أدلف إلى عشي الهادئ فأجده مظلمًا على غــير العــادة.. صمت قاتل يغلف المكان.. تبحث يــدي عــن زر الإضــاءة لأكسر حاجز الظلام الذي منعني من اكتشاف ســبب هــذا الصمت الذي يحيط بالمترل .. تتبدد الظلمــة ولكــن يبقــى الصمت مطبقًا على المكان. أبحث عن زوجتي داخل المترل فلا أجدها.. أتذكر أنها ستقضي ليلتها هذه مع والدتها لتمرضها.. هذا إذن سبب وجوم الصمت فلا صوت يسمع من هنــا ولا من هناك.. حسنًا يمكنني أخيرًا أن أستمتع قليلاً بالهــدوء .. أن أتمدد حتى وقت متأخر أمام التلفاز وأن أتناول ما يحلو لي مــن طعام دون أن يذكرني أحدهم من حين إلى آخــر أن أتنــاول السلطة وأن أنهي ما في طبقي من طعام كأنني طفــل صــغير.. شعور غريب بحرية الحركة أشعر به اليوم.. أدرت التلفاز على قناتي الرياضية المفضلة رافعًا صوته على غير العادة .. توجهت إلى المطبخ لأعد طعام العشاء وأجلس لأتناوله في هدوء أمــام التلفاز، الذي أنتقل بين قنواته في حرية دون أن أضطر لمشاهدة فيلم قديم، أشاهده على مضض للمرة المليون فقط لأن المــدام شاهدته معي أيام الخطوبة.. يمكنني متابعة برنــامجي الرياضــي المفضل دون أن تقاطعني زوجتي معترضة أو تنهال علي بروايــة ما حدث لها اليوم في العمل أو مع بائع الخضار.

أنتقل بين القنوات في ملل فقد انتهى برنامجي المفضل المـــثير دوما نتجدل مع زوجتي. تتبدد حاله السعادة والحرية رويـــدًا رويدًا ليحل محلها الشعور بالملل والوحدة.. أغلق التلفاز ليسود الصمت على المكان من جديد.. التفت يمينًا ويـــسارًا متـــأملاً منزلي الصامت.. يا لوحشة المكان دونها.. نعم روحها تبعـــث الدفء في المكان فلم أشعر بالوحشه أبدًا كما أنا الآن.. فهـــي دومًا تمازحني وتهتم بشؤوني كأنني طفلها الـــصغير المـــدلل.. أضحك حين أتذكر شجارنا حول برنامجي الرياضي الذي تراه مملا بينما أجده أنا أكثر متعة من مشاهدة فيلم تفضل هـــي أن تراه.. التفت حولي فأجد المنزل معتمًا رغـــم كـــل أضـــوائه المضاءة.. أراه معتمًا دونها.. فهي حبيبتي وزوجتي.. إنها النـــور الذي ينير أيامي.. أفتقد ثرثرتها حول ما حدث خـــلال اليـــوم ونحن نحتسي الشاي سويًا.. لكم أتمنى كوبًا منه من صنع يديها الآن!!.

الصمت يغلف المكان ولا شيء يكسره سوي صوت التلفاز الذي أدرته من جديد.. أرفع سماعة الهاتف لأدير رقمًا أحفظه جيدًا.. يجيبني صوتها الدافيء من بعيد.. أطمئن علـــى صـــحة والدتها وأقول لها "وحشتيني.. البيت وحـــش مـــن غـــيرك".. أتحدث إليها قرابة الساعة، لأحكي لها ما فعلته اليوم في العمـــل والمنزل.. تستمع إلي بلا ملل، تجاذبني أطراف الحديث وتمازحني

كعادتها عندما نتحدث عن برنامجي الرياضي.. كذلك تعـــدني
أنها ستعود غدًا إلى المترل.. أنهي مكالمتي معها لأغرق ثانيـــة في
صمت يخيم على المترل.. صمت احتواه واحتواني!!



المتمردة



هل يمكن أن يكون الحب يومًا سبب نقمة علي صاحبه؟..
سؤال لم أتخيل يومًا أن تكون إجابته هي "نعم".. فأنا فتاه رومانسية حالمة — أو هكذا ظننت نفسي- أتمنى أن أجد من يخطف قلبي ويشاركني مشوار حياتي. وعندما وجدته كان الحب هو مأساتي.. لم تكن مأساتي أن من أحبه لا يبادلني مشاعر الحب أو يؤرقني وجود مشكله مادية أو أسرية بيننا..
بل تكمن المأساة أنه يحبني بجنون.. نعم تكمن مأساتي أنه يحبني بجنون.. يحبني لدرجة تكاد تخنق حبه داخل قلبي. ينعتونني بالمتمردة لأني لا أعرف قيمه ما بين يدي من حب عظيم..
فحبيبي شاب وسيم، مثقف وهو كما يقولون "تتمناه أي بنت".. لا أنكر أنني أيضًا أبادله مشاعر الحب ولكن ليس بنفس قوة المشاعر التي يكبلني بها حتى أكاد أن أختنق حبًا..
حاولت مرارًا أن أنبهه أن علاقة الحب أخذ وعطاء، حتى يمكن أن تتجدد الحياة ومشاعر بين قلبينا.. فما كان منه إلا أن لثم يدي بقبلة حانية مؤكدًا أن يعطي من جانبه لأنه يريد أن يعبر عن ما يكنه قلبه لي، وهذا العطاء ما هو إلا حقي لأنه يعلم أنني أيضًا أحبه، أما هو فيكفيه فقط أنني هنا بجانبه.. نعم أنا أحبه ولا أستطيع الابتعاد عنه وكذلك فإن نار حبه تكاد أن تحرقني وتخنق الحب في قلبي.. أشعر أحيانًا أن خاتم خطبتنا كطوق ناري يحيط بإصبعي.. أخلعه واضعة إياه جانبًا فأشعر أني أكثر

خفةً ورشاقةً بل وأنني أتنفس بحرية أكبر.. ولكن سرعان مـــا أنظر إلى إصبعي دونه فأرى حياتي فارغة وأجدها أكثر بؤسًـــا دون وجود حبيبي بها قمرًا يضيء لياليها، فأســـارع بارتـــداء خاتمي من جديد معلنة أن ما أشعر به إلا لغوًا و"دلع بنـــات" فخطيبي يحبني وأنا أحبه.. إذن لا يوجد مشكلة.. تتبخر حالـــة الرضا النفسي بعد فترة فأشعر بالملل من جديد من جراء حبـــه الفياض، الذي أكاد أن أغرق بين أمواجه فأسارع بخلع خـــاتم الخطبة من جديد.. أبحث عن نقطة مضيئة تخرجني مـــن تلـــك الدائرة التي أسير فيها إلى مالا نهاية.. ولكنهم لا يزالون ينعتونني بالمتمردة ولا أدري لم يخلعون عليّ لقب كهذا؟! ألا يعقلون أنه لا سلطان لنا على دولة القلوب؟

امرأة بلا قلب



الفهرس